

الفصل الثالث: النظريات السيسولوجية الحديثة:

I. مفهوم نظرية البناء الوظيفي:

تعتبر النظرية البنائية الوظيفية من أكثر النظريات الاجتماعية شيوعاً واستخداماً في مجال علم الاجتماع الاسري، حيث ظهرت النظرية في اعقاب ظهور كل من البنيوية الاجتماعية على يد كل من كلاودس ليفي ستراوس، كولدونويزير، عندما نشر العالمان كتابي (ابنية القرابة) و(الطوطمية) على التوالي، والوظيفية على ايدي كل من ماكس فيبر واميل دوركايم وويليام كراهان سمنر، في مؤلفاتهم المنشورة (الدين والاقتصاد)، (تقسيم العمل في المجتمع)، و(طرق الشعوب)، علماً بان ظهورها كان كرد فعل للتراجع والضعف والاختفاق لكون كل منهما أحادية الجانب، ذلك ان البنيوية تفسر المجتمع والظاهرة الاجتماعية، وفقاً للأجزاء والمكونات والعوامل المفردة التي يتكون منها البناء الاجتماعي، بعيداً عن وظائف هذه الأجزاء والنتائج المؤثرة عن وجودها.

اما مصطلح الوظيفة فيعني الإسهام الذي يقدمه الجزء للكل أي النسق الديني للنسق التربوي و كلاهما للمجتمع السعودي ككل ، وهذا هو المعنى الذي نجده عند دوركايم وراكليف براون ومالينوفسكي، وهناك معانٍ أخرى للوظيفة، مثل الإسهام الذي تقدمه الجماعة لأعضائها، كما تستخدم بمعنى المهنة أو العمل، أو الإشارة إلى المنفعة التي يحصل عليها الشخص نتيجة ممارسته لأعمال معينة .

أ- مقومات النظرية:

ويمكن القول بوجه عام إن النظرية الوظيفية تقوم على ست أفكار رئيسية:

1. يمكن النظر إلى أي شيء - سواء أكان كائناً حياً أو اجتماعياً أو فرداً أو مجموعة، أو تنظيمًا رسميًا أو مؤسسة أو مجتمعاً أو حتى العالم بأسره على أنه نسق أو نظام System وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة، لكل جزء وظيفة محددة يقوم بها للمحافظة على النسق.

2. لكل نسق احتياجات أساسية لا بد من الوفاء بها، وإلا فإن النسق سيفنى أو يتغير تغيراً جوهرياً، فالمجتمع في حاجة لتنظيم أساليب السلوك وفي حاجة لإضافة أفراد جدد وفي حاجة لمجموعة لرعاية الأطفال و في حاجة إلى القيم و الضبط وهكذا.

3. يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل alternatives فحاجة المجتمع للتماسك تتحقق عن طريق قوة العادات والتقاليد، وسيادة قدسية الدين، و حاجة المجتمع إلى الأخلاق والقيم تتحقق عن طريق الدين و التربية .

4. توازن النسق قضية جوهريّة، فلا بد أن يكون المجتمع في حالة توازن Equilibrium ولكي يتحقق هذا التوازن لا بد أن تلبى كل حاجات النسق، و التوازن يتم من خلال تكامل مكونات النسق وترابطها، بحيث تقاوم أي تغيرات قد تضر بقاء النسق، وإذا حدث أي تغير، فإن النسق يرجع إلى حالة التوازن بصورة تلقائية، ففي النسق

الديني في المجتمع السعودي هناك حاجات لتوازن هذا النسق تتمثل في الحفاظ على ثوابت الدين الإسلامي من خلال العلماء أصحاب الثقة و أنه حينما يكون هناك انحراف في الفكر الدين فغالبا ما يعود الناس للثوابت الراسخة و من ثم يستعيد النسق توازنه رافضا أي انحراف و بالتالي يمتد أثر ذلك التوازن في النسق الديني إلى توازن النسق التربوي الذي يدين في كثير من مقوماته في المجتمع السعودي على النسق الديني حيث أن ثقافة المجتمع السعودي مبنية على الإسلام في كافة جوانب الحياة

5. لكل جزء من أجزاء النسق سمة تؤثر في بقاءه وتوازنه، فقد يكون وظيفيًا أي يسهم في تحقيق التوازن، وقد يكون معوقًا وظيفيًا أي يقلل من عدم التوازن، أو قد يكون غير وظيفي أي، عديم القيمة بالنسبة للنسق.
 6. وحدة التحليل هي الأنشطة والنماذج المتكررة والصور العامة للسلوك، وليست وحدات فردية محددة فالتحليل الوظيفي لا يحاول أن يشرح كيف ترعى و تربي أسرة معينة أطفالها، وإنما يهتم بكيفية تحقيق الأسرة - كنظام- لهذا الهدف من خلال الاستفادة من معطيات النسق الديني .
- يتضح مما سبق أن النظرية البنائية الوظيفية تنظر إلى المجتمع باعتباره نسق في حالة توازن، وهذا النسق هو بناء منظم وثابت مكون من عدد من الأجزاء المترابطة، ولكل جزء (أو نظام) من هذه الأجزاء وظيفة يؤديها للحفاظ على بقاء النسق وتوازنه.

ب- نقد النظرية البنائية الوظيفية:

- يمكن استعراض أبرز الانتقادات التي وجهت للنظرية البنائية الوظيفية في النقاط التالية :
- 1- لقد انصب التركيز على الجوانب الثابتة من النسق الاجتماعي أكثر من الاهتمام بالأبعاد الديناميكية المتغيرة، وكانت الأبعاد الثقافية للنسق الاجتماعي أكثر استخداما في التفسير من غيرها من مكونات النسق
 - 2- المبالغة في محاكاة نموذج العلوم الطبيعية، وخاصة نموذج علوم الحياة، وكأن النسق الاجتماعي كائن عضوي تحكمه نفس القوانين التي تحكم حركة الكائنات الحية
 - 3- يؤخذ على الاتجاه البنائي الوظيفي انه احادي النظرة، بمعنى أنه لا يرى ويبحث في النسق الاجتماعي الا ابعاد التوازن والوظائف وتحقيق الاهداف، فلا يهتم بتحليل ابعاد اخرى مثل ابعاد التغير والاضطراب والامراض والمشكلات الاجتماعية
 - 4- استبعاد فكرة التغير الاجتماعي وخاصة الجذري والشامل ، وحتى وان اعترف النموذج البنائي الوظيفي بشيء من التغير الاجتماعي النابع من عوامل كائنة داخل النسق ، فانه لا يعطي أي اهتمام، بل لا يهتم مطلقا بالتغير الاجتماعي الذي يتم بفعل عوامل من خارج النسق الاجتماعي
 - 5- اهمل الاتجاه البنائي الوظيفي فكرة الصراع الاجتماعي، مع ان هذا المتغير اساسي في فهم تغير وتطور المجتمعات الانسانية الصناعية والنامية منها على حد سواء(الحوات ، 1998م، ص104)

- 6- صعوبة اختبار كثير من المفاهيم والتصورات والقضايا التي يستند إليها الاتجاه البنائي الوظيفي في فهم المجتمع
- 7- لا يطرح اسئلة رئيسية وجذرية حول غاية الفعل الاجتماعي , فهو يهتم فقط بنتائج الفعل واستمراره دون النظر في مضامينه وغاياته البعيدة.

II. نظرية الدور

أ- مفهوم الدور **Role** : لقد تعددت مفاهيم الدور طبقاً لوجهات النظر التي تناولته ونعرض الآن لبعض هذه المفاهيم :-

1- تعريف " هيلين برلمان " Helen Perlman

" أنماط الشخص السلوكية المنظمة من حيث تأثرها بالمكانة التي يشغلها أو الوظائف التي يؤديها في علاقته بشخص واحد أو أكثر , ويتم اختيار وتشكيل تلك الانماط السلوكية من خلال عدة عوامل ديناميكية هي :-

- حاجات ودوافع الشخص الشعورية واللاشعورية .

- أفكار الشخص وتصوراته عن الالتزامات والتوقعات المتبادلة والقائمة من خلال العادات والأعراف والتقاليد في المكانة المعنية والوظائف التي يقوم بها .

- الاتفاق أو التعارض بين تصورات الشخص عن الالتزامات والتوقعات وتصورات الآخر والآخرين الذين يتعامل معهم عنها .

2- تعريف : " تيودر ساربن " Theodere R. Sarbin

" الدور هو نمط الافعال أو التصرفات التي يتم تعلمها أما بشكل مقصود أو بشكل عارض والتي يقوم بها شخص ما في موقف يتضمن تفاعلاً " .

3- تعريف " سنية خليل "

" الدور هو مجموعة من الأفعال والواجبات التي يتوقعها المجتمع (ممثلاً في هيئاته وأفراده) فيمن يشغل وضع اجتماعي معين في وقت معين " .

4- تعريف " أحمد عزت راجح "

" الدور هو نمط السلوك الذي تنتظره الجماعة وتتطلبه من فرد له مركز معين فيها وهو سلوك يميز الفرد عن غيره ممن يشغلون مراكز أخرى " .

ب- المفاهيم المتعلقة بنظرية الدور :

1- تعلم الدور : يعتبر هذا المفهوم من المفاهيم الأساسية لهذه النظرية وهذا الاتجاه العلاجي ويرجع ذلك إلى إن كل فرد في المجتمع يتعلم طبيعة دوره والسلوك المتلائم مع كونه يشغل دور معين وهذه العملية تبدأ منذ الصغر في الطفولة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

- 2- **متطلبات الدور :** وهي المقومات اللازمة لأداء دور معين وهي تنشأ من المعايير الثقافية ومن شأنها إن توجه الفرد عند اختياره وسعيه للقيام بأدوار معينه .
- 3- **إنتاجية الدور :** وتعني السلوك الظاهر للفرد عند القيام بأداء دور معين فكل دور يؤديه الفرد ينتج عنه سلوك لفظي أو غير لفظي يمكن ملاحظته .
- 4- **توقعات الدور :** وهي التصورات أو الأفكار أو المعارف التي تكون لدى أشخاص معينين لمدى مناسبة أنماط سلوكية يقوم بها شاغل مكانة معينة بالنسبة لتلك المكانة .
- 5- **تقويم الدور :** ويعني مدى قيام الفرد بمهام الدور ومسؤولياته بصورة مقبولة وفقاً للاعتبارات الاجتماعية والثقافية السائدة في المحيط الذي يمارس فيه الدور .
- 6- **قوة الدور :** وهو التحول في توقعات الدور القائم طبقاً لنمط ثقافي معين إلى دور أقوى كما هو حادث في قوة دور المرأة ودور المثقفين حالياً . ويمكن القول بأنه كلما تحدد الدور كلما زادت قوته ووضوحه
- 7- **توصيف الدور :** ويتعلق باتجاهات الآخرين حول ما يجب أن يكون عليه أداء الدور فكل دور من الأدوار له توصيف محدد يتضمن الإطار المرجعي الذي ينظر للأداء من خلاله .
- 8- **الاعتراف بالدور :** ويعني أفعال الآخرين الموجهة نحو إحداث التغيير في أداء الدور كما يتضمن الاعتراف بأفعال الثواب والعقاب التي تصدر من الآخرين وتكون بمنزلة الحافز أو المثبط لما ينتج عن الأداء .
- 9- **غموض الدور :** عندما تكون متطلبات الدور غير واضحة يصبح دوراً غامضاً فالعميل الذي يذهب إلى الأخصائي الاجتماعي دون أن يعرف شيئاً ما عن طبيعة عمله لا يستطيع أن يدرك ماذا يتوقع منه .
- 10- **صراع الدور :** عرفه البعض بأنه (ما يشعر به الإنسان من ارتباك عندما يشغل أكثر من منصب أو وظيفة لا تتشابه اختصاصاتها أو طبيعتها بل تتعارض في بعض الأحيان) .
- 11- **إعادة توازن الدور :** عملية تحدث بين شخصين أو أكثر بهدف حل خلاف أو صراع على الأدوار تتم هذه العملية غالباً بواسطة توضيح التوقعات المشتركة بين الأطراف المعنية .

ت- المبادئ العامة لنظرية الدور :

تستند نظرية الدور على عدد من المبادئ العامة التي أهمها مايلي :-

- 1- يتحلل البناء الاجتماعي إلى عدد من المؤسسات الاجتماعية وتحلل المؤسسة الاجتماعية الواحدة إلى عدد من الأدوار الاجتماعية .
- 2- ينطوي على الدور الاجتماعي الواحد مجموعة واجبات يؤديها الفرد بناءً على مؤهلاته وخبراته وتجاربه وثقة المجتمع به وكفاءته وشخصيته .

3- يشغل الفرد الواحد في المجتمع عدة أدوار اجتماعية وظيفية في آن واحد ولا يشغل دوراً واحداً . وهذه الأدوار هي التي تحدد منزلته أو مكانته الاجتماعية . ومنزلته هي التي تحدد قوته الاجتماعية وطبقته .

4- ان الدور الذي يشغله الفرد هو الذي يحدد سلوكه اليومي والتفصيلي , وهو الذي يحدد علاقاته مع الآخرين .

5- سلوك الفرد يمكن التنبؤ به من معرفة دوره الاجتماعي اذ ان الدور يساعدنا في تنبؤ السلوك .

6- لا يمكن اشغال الفرد للدور الاجتماعي وادائه بصورة جيدة وفاعلة دون التدريب عليه , علماً بأن التدريب على القيام بالأدوار الاجتماعية يكون خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

7- تكون الأدوار الاجتماعية متكاملة في المؤسسة عندما تؤدي المؤسسة مهامها بصورة جيدة وكفاءة بحيث لا يكون هناك تناقض بين الأدوار .

8- تكون الأدوار الاجتماعية متصارعة او متناقضة عندما لا تؤدي المؤسسة ادوارها بصورة جيدة وكفاءة .

9- عند تفاعل دور مع ادوار اخرى فأن كل دور يقيم الدور الآخر .

10- عن طريق الدور يتصل الفرد بالمجتمع ويتصل المجتمع بالفرد . والاتصال قد يكون رسمياً أو غير رسمي .

11- الدور هو حلقة الوصل بين الشخصية والبناء الاجتماعي .

12- التركيب الخلقي للفرد هو بمثابة التكامل بين التركيب النفسي والأدوار الاجتماعية التي يشغلها الفرد بحياته.

ث- فكرة نظرية الدور : تنطلق فكرة نظرية الدور من المجتمع عبارة عن مجموعة مراكز اجتماعية مترابطة ومتضمنة أدواراً اجتماعية يمارسها الأفراد الذين يشغلون هذه المراكز .

وقد حدد منظرو هذه الفكرة - نظرية الدور - ثلاث تصنيفات من التوقعات وهي كالتالي : -

1- التوقعات السلفية: وهي تلك التي تنطوي على عدة قواعد اجتماعية تحدد سلوك الفرد .

2- توقعات الآخرين : وذلك عندما يشترك الفرد في عملة التفاعل الاجتماعي مع أفراد آخرين أو مع وضعية إجتماعية معينة، يأخذ الفرد بنظر الاعتبار تقييم واحكام الآخرين الذين يتفاعل معهم.

3- توقعات المجتمع العام : وهي التي يمكن أن تكون حقيقية أو تكون وهمية يتصورها الفرد.

ج- مسلمات نظرية الدور : هي كالتالي :

- يعرف الناس الأدوار لأنفسهم وللآخرين مستندين على القراءة و التعلم الاجتماعي .

- يكون الناس توقعات حول أدوارهم وأدوار الآخرين .

- يشجع الأفراد بعضهم البعض ليقوموا بلعب الأدوار المتوقعة منهم .

- الأفراد يتصرفون ضمن الأدوار التي سيتبنونها .

وتتلخص هذه النظرية في الفهم العميق للأدوار ثم تنسيقها بمهارة وإتقان ومن ثم تحليل الأدوار والمهارات المترتبة عليها

و حدد كل من (كينيث بن Kenneth Benne – بول شيتس Paul Shaets) ثلاثة أنواع من الأدوار:

1- دور البناء والاستمرار.

2- دور المجموعة في اختيار وتحديد نوعية المشكلة ووضع حل لها.

3- الأدوار الشخصية التي تساعد على تحقيق حاجاتهم الخاصة كأفراد.

أما ارفينك كوفمان (Erving Coffman) فقد أشار في كتابه ((تقديم النفس في الحياة اليومية)) عن أوجه التشابه بين الأوضاع في الحياة الحقيقية والتدرج المسرحي , إذ أن الأفراد في المنظمة يقومون بأدوار معينة, حيث تتفاعل عوامل متعددة في تحديد كل دور على حدة, وإظهار الدور أو بروزه يعتمد على أساس ما يقدمه الفرد لذلك الدور ومثال على ذلك سلوك المعلمين بحضور أولياء أمور الطلاب ثم اختلاف هذا السلوك أثناء ممارسة العمل العادي اليومي داخل غرفة الصف .

ح- تبني نظرية الدور على خمس افتراضات أساسية , يوجد عليها اتفاق عام بين العلوم الاجتماعية وهي:

- إن بعض أنماط السلوك تعد صفة مميزة لأداء الأفراد الذين يعملون داخل إطار معين .
- إن الأدوار غالبا ما ترتبط بعدد معين من الأفراد الذين يشتركون في هوية واحدة .
- إن الأفراد غالبا ما يكونون مدركين للدور الذين يقومون به , وإلى حد معين الأدوار يتحكم فيها حقيقة الإدراك بها .
- إن الأدوار تستمر بسبب ما يترتب عليها من نتائج من ناحية وبسبب ارتباطها بسياق نظم اجتماعية أكثر اتساعا من ناحية أخرى .
- إن الأفراد يجب تأهيلهم للأدوار التي يقومون بها .

خ- إيجابيات وسلبيات نظرية الدور

الجوانب السلبية :

1. الاختلاف حول تعريف المفهوم.
2. اتساع نطاق نظرية الدور .
3. تعقيد الدور وصعوبة تقييمه .
4. تعدد المنظورات الخاصة بالنظرية .

الجوانب الإيجابية

- 1- أن النظرية تملك العديد من المصطلحات والمفاهيم والافتراضات التي يمكن أن يتم استناداً إليها إجراء العديد من الدراسات العلمية القائمة على التجريب.

2- كما أنها تشارك ميادين العلوم السلوكية الأخرى أكثر نضجاً في امتلاكها مجال دراسة محددة ووجهة نظر محددة .

3- وكذلك الطبيعة التجريبية والسمات الحيادية للنظرية .

4- كما أن النظرية تعتبر ميداناً مشتركاً بين العديد من المجالات البحثية والنظريات التحليلية .

III. نظرية التبادل الاجتماعي

هي النظرية التي تم اقتراحها من قبل عالم الاجتماع جورج هومانس (George Homans) عام 1985، والتي تصف العلاقات الإنسانية بأنها نوع من السلوك الاجتماعي القائم على النتائج (Results-driven Social Behavior). تنص نظرية التبادل الاجتماعي على أن السلوك الاجتماعي هو نتيجة لعملية تبادلية، الغرض منها هو زيادة الفوائد وتقليل التكاليف. إن تقييم الشخص للفوائد والمخاطر المحتملة للعلاقات الاجتماعية، هو ما يُحدّد إن كان سيستمر في تلك العلاقات أو سيسعى إلى إنهاؤها.

أ- وصف وتقييم العلاقات بحسب نظرية التبادل الاجتماعي

ويمكن وصف العلاقات الإيجابية التي عادة ما يسعى الفرد للمحافظة عليها بأنها تلك العلاقات التي تكون فيها الفوائد أكبر من التكاليف، بينما العلاقات السلبية التي عادة ما يسعى الفرد لإنهائها والتخلص منها هي العلاقات التي تكون فيها التكاليف أكبر من الفوائد. ويمكن أن تشمل التكاليف أي شيء يقوم الفرد ببذله في تلك العلاقة مثل المال أو الوقت أو الجهد، وتشمل الفوائد أي شيء يمكن أن يحصل عليه الفرد من العلاقة مثل المرح والصدقة والدعم الاجتماعي والمادي.

عندما يحاول الفرد تقييم علاقة مُحددة، فإنه يقوم بتقييم الفوائد والتكاليف المرتبطة بتلك العلاقة من خلال تحديد مُستوى مقارنة غالباً ما يتأثر بالتوقعات الاجتماعية والخبرات السابقة للفرد.

فعلى سبيل المثال، إن كانت أغلب صداقات الفرد جيدة وداعمة، فإن مستويات المقارنة التي سيعتمد عليها عند الدخول في صداقة جديدة ستكون مُرتفعة، وذلك لأنه سيقوم بمقارنة مستوى الفوائد التي ستعود عليه من الصديق الجديد، مع مستوى الفوائد الذي حققه مع أصدقائه القدامى، وهو مستوى مرتفع بالنسبة له.

ب- الافتراضات الأساسية لنظرية التبادل الاجتماعي:

تعتمد نظرية التبادل الاجتماعي على العديد من الافتراضات المتعلقة بالطبيعة البشرية وطبيعة العلاقات منها:

1- إن البشر يميلون غالباً إلى البحث عن المكافآت وتجنب العقبات.

2- إن الشخص يبدأ في التفاعل والتواصل مع الآخرين عادة للحصول على أقصى ربح ممكن بأقل تكلفة.

3- إن الأفراد يميلون إلى حساب الربح والتكلفة قبل الدخول في العلاقات.

4- ان الافراد يعرفون ان العائدات او الفوائد التي سيحصلون عليها ستختلف من شخص الى اخر وكذلك مع الشخص نفسه بمرور الوقت.

ت- الانتقادات الموجهة لنظرية التبادل الاجتماعي.

ينتقد العديد من الناس هذه النظرية لافتراضها بان الافراد يتخذون دوما قرارات عقلانية، ويوضح منتقدو هذه النظرية بان هذا النموذج النظري يفشل في ادراك القوة التي تلعبها المشاعر في حياة الافراد اليومية وفي تفاعلاتهم مع الآخرين. كما ان هذه النظرية لا تأخذ بعين الاعتبار البنية الاجتماعية والقوى الاجتماعية التي تعمل على تشكيل تصور الافراد للعام وخبراتهم داخله على نحو غير واع وتلعب دورا قويا في تشكيل تفاعلاتهم مع الآخرين.

IV. نظرية التفاعل الرمزي.

أ- مفهوم: التفاعل الرمزي هو نظرية اجتماعية تطورت من اعتبارات عملية، وهي تشير إلى استخدام الناس الخاص للّهجة، لرسم صور ومضامين طبيعية، للاستنباط، والانسجام مع الآخرين. بكلمات أخرى، هو إطار مرجعي لفهم كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم بشكل أفضل لخلق عوالم رمزية، وكيفية تشكيل هذه العوالم بدورها السلوكيات الفردية. إنه الإطار الذي يساعد على فهم كيفية المحافظة على المجتمع وخلق من خلال التفاعلات المتكررة بين الأفراد. تساعد عملية التفسير التي تحدث بين التفاعلات في خلق وإعادة خلق معنى. إنه الفهم والتفسيرات المشتركة للمعنى التي تؤثر على التفاعل بين الأفراد. يركز الأفراد في تصرفاتهم على الفهم المشترك للمعنى ضمن سياقهم الاجتماعي. بالتالي، يُؤطر السلوك والتفاعل من خلال المعنى المشترك الذي يرتبطون به مع الأهداف والمفاهيم. انطلاقاً من وجهة النظر هذه، يعيش الناس في بيئات طبيعية ورمزية.

يأتي التفاعل الرمزي من منظور اجتماعي تطور في حوالي منتصف القرن العشرين، وما زال مؤثراً في بعض مجالات التخصص. تكمن أهميته بشكل خاص في علم الاجتماع الجزئي وعلم النفس الاجتماعي. وهو مشتق من الفلسفة الأمريكية البراغماتية، وبشكل خاص من أعمال جورج هيربرت ميد، التي تُشكّل طريقة براغماتية لتفسير التفاعلات الاجتماعية.

ب- الافتراضات:

يعتقد معظم المتفاعلون الرمزيون أنّ الواقع المادي موجود بالفعل من خلال التعريفات الاجتماعية للفرد، وأنّ التعاريف الاجتماعية تتطور بشكل جزئي أو فيما يتعلق بشيء «حقيقي». لذلك لا يستجيب الناس لهذا الواقع بشكل مباشر، عوضاً عن ذلك، يستجيبون للفهم الاجتماعي للواقع. على سبيل المثال، فهم يستجيبون لهذا الواقع بشكل غير مباشر عن طريق نوع من الفلتر الذي يتكون من وجهات نظر مختلفة للأفراد. ويعني هذا أنّ البشر لا يوجدون في فضاء مادي مكون من الحقائق، إنما في «عالم» مكون من «مواضيع» فقط.

إنّ الافتراضات الثلاثة التي تؤطر التفاعل الرمزي هي:

1- يبنى الأفراد المعنى عن طريق عملية التواصل.

2- مفهوم الذات هو دافع السلوك.

3- توجد علاقة فريدة بين الفرد والمجتمع

V. نظرية التمثيل المسرحي.

أ- **ماهية:** تعد نظرية التمثيل المسرحي من النظريات الحديثة في علم الاجتماع إذ تأسست في منتصف القرن العشرين، وقبل تأسيسها كانت جزءاً أو فرعاً من النظرية التفاعلية الرمزية التي انشقت من نظرية الدور في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين. إن هذه النظرية تعتقد بأننا ممثلون ولكوننا ممثلين ندخل إلى الحياة التي هي مسرح كبير من باب ونخرج من المسرح من الباب الآخر. وعندما نمثل على خشبة المسرح نقيم الآخرون والآخرين يقيمونا.

ب- **مبادئها:** أما المبادئ الأساسية التي تركز عليها نظرية التمثيل المسرحي فيمكن إجمالها بعشر نقاط أساسية هي كما يلي :

- 1- إن الحياة الاجتماعية التي نعيش فيها ما هي إلا مسرح كبير له باب يدخل من خلالها الممثلون وباب آخر يخرج منه الممثلون بعد الانتهاء من فصول أو مشاهد تمثيلهم. والممثلون هنا هم الأفراد الذين يعيشون في المجتمع ويمثلون أدوارهم أمام الآخرين سواء كانوا أعلى أو أوطأ منهم.
- 2- أن الأفراد الذين يعيشون في المجتمع أو الحياة الاجتماعية هم عبارة عن ممثلين في هذا المسرح الكبير ، إذا أن كل فرد هو ممثل أمام الآخرين. ولما كان ممثلاً فإنه يدخل من باب ويخرج من الباب الآخر للمسرح الذي يمثل فيه .
- 3- إن الممثلين الذين هم أبناء المجتمع يمثلون أدواراً اجتماعية مختلفة منها أدوار رئاسية وأدوار مرؤوسيه وأدوار وسطية ، ذلك أن الممثل إما يكون رئيساً أو مرؤوساً وإن دوره هو الذي يحدد مركزه التمثيلي .
- 4- يدخل الفرد إلى المسرح للتمثيل في بدء حياته التمثيلية، أي بدء حياته الاجتماعية ويخرج الفرد من المسرح في نهاية حياته التمثيلية، أي في نهاية حياته الاجتماعية التي يعيشها.
- 5- يلعب الفرد أدواره في حياته اليومية كممثل فإذا أجادا لعب الأدوار فإنه يلقي الاحترام والتقدير من الآخرين وبخاصة الأعلى منه . وإجادة لعب الأدوار تعني إظهار الجانب الجيد من سلوكه وشخصيته وعلاقاته وإخفاء الجانب السيء. إما أخفاق الفرد في لعب الأدوار التي يقوم بتمثيلها في المجتمع فإنه يلقي الرفض والاستهجان والتأنيب والمقاطعة من قبل أبناء المجتمع لأنه أظهر لهم الجانب السلبي من شخصيته وأخفى عنهم الجانب الإيجابي
- 6- يحاول الفرد عند تفاعله مع الآخرين لا سيما الأفراد الأعلى منه درجة أن يظهر أمامهم الوجه الجيد من شخصيته وإخفاء الوجه السلبي والقبیح ، لأن إظهار الوجه القبيح أمامهم سيدفعهم إلى استهجانهم ومقاطعتهم والوقوف ضده . وهذا ما يسبب فشل الفرد في مهامه وأعماله. لذا فالفرد كلاعب أو ممثل للأدوار غالباً ما يظهر الوجه الجيد والايجابي لشخصيته ويخفي الوجه القبيح والمرفوض املاً في قبوله من لدن المجتمع مع تقييم سلوكه اليومي والتفصيلي

7- في بعض الحالات يلعب الفرد دوره أو يمثل دوره بطريقة تظهر أمام المسؤولين الجوانب السلبية لذاته , ويخفي وراء المسرح الجوانب الايجابية , أن هذا الشخص لا ينجح في حياته العامة والخاصة لأنه لا يعرف كيف يمثل أدواره أمام الآخرين , أي لا يعرف كيفية تقمصه للشخصية المحبة والمفضلة من المجتمع ولا ينال رضاه وقبوله لأنه لا يعرف كيفية التمثيل أمامهم الآخرين , بل على العكس يجيد عرض ذاته بجوانبها السلبية والمستهجنة والمرفوضة

8- عندما يعرض الفرد خلال فترة التمثيل الجوانب الايجابية عن شخصيته ويخفي الجوانب السلبية فان الآخرين يكونون صورة ذهنية نحو إزاءه , وهو نفسه يكون صورة ذهنية نحو الآخرين , وهذه الصورة هي التي تحدد تقييمه للآخرين وتقييم الآخرين له . وهذه الحقيقة إنما تتناغم مع ما جاء به جارس كوكولي في كتابه الموسوم " الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعي . "

9- أن الصورة التي يحملها الآخرون عن الفرد بعد قيامه بتمثيل الأدوار التي يؤديها هي التي تدفعه إلى تقييم ذاته وبالتالي تقييم الآخرين . ذلك أن تقييم الفرد من قبل الآخرين هو الذي يدفعه إلى تقييم ذاته , لأن تقييم الذات يعتمد على تقييم الآخرين للفرد .

10- الحياة الاجتماعية التي نعيشها إذن هي رحلة يدخل فيها الإنسان من باب ويخرج من الباب الآخر , وفي هذه المرحلة يمثل الفرد أدواره أمام الآخرين والآخرين يمثلون أدوارهم أمام الفرد . وهذا التمثيل الذي يقوم به طرف أمام الطرف الآخر هو الذي يكون الصورة النمطية التي يحملها كل طرف نحو الطرف الآخر . وهذه الصورة النمطية عندما تصل إلى الفرد فانه يقيم نفسه بموجب طبيعتها وشكلها . ويمكن تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على عدد من الأبحاث الاجتماعية التي تدور حول العلاقة الإنسانية بين الأفراد والجماعات .

أن هذه النظرية تعد جزءاً من النظرية التفاعلية , والتفاعلية الرمزية ولكنها تبحث الموضوع بطريقة ابعده وأعماق مما تبحثه التفاعلية الرمزية , أنها تبحثه من حيث تفسير النجاح أو الفشل وفقاً لجودة الفرد في تمثيله الأدوار المناطة به

VI. النظرية الظاهرية

تعرض علم الاجتماع بصفة عامة و النظرية الاجتماعية بصفة خاصة إلى الكثير من الشك و النقد من جانب الشباب من دارسي علم الاجتماع ، الذين لم يقتنعوا بما درسوه عن الوضعية و الوظيفية ، خاصة مع التغيرات العميقة التي حدثت في المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية و الأزمات التي مر بها العالم الرأسمالي .

و قد اتخذت هذه المقاومة لقيم المجتمع الرأسمالي الصناعي أشكالاً متعددة، فعلى المستوى السلوكي لجأ الكثير من الشباب إلى رفض هذه القيم و ما يرتبط بها من تصرفات و انسحبوا من المجتمع انسحاباً سلبياً دون أن يحاولوا إحداث تغيير جذري فيه و استبدلوا هذه القيم بقيم أخرى تتمركز في معظمها حول الغوص في الذات و التعبير عنها بحرية فكانت حركات الهيبز و جماعات العقاقير المخدرة و سواها من الجماعات .

أما على المستوى الفكري فقد لجأ الشباب المثقف و بخاصة من المتخصصين في العلوم الاجتماعية إلى رفض الاهتمام بدراسة أو فهم الواقع الموضوعي و ارتدوا مثل جماعات الهيبيز إلى الاهتمام بالذات من الداخل وكانت الفلسفة الظاهرية خير معين لهم على ذلك.

و على ذلك فإن الاتجاه الفينومولوجي يمكن النظر إليه باعتباره رد فعل محافظ لفشل الوضعية و الوظيفية مقابل الاتجاهات الراديكالية التي تعتبر رد فعل ثوري لفشل هذه الاتجاهات السابقة الذكر، و يشبه هذا الموقف ذلك الموقف القديم الذي نشأ كرد فعل لفشل الفلسفات الميتافيزيقية إبان عصر التنوير.

إذاً فقد بدأ علماء الاجتماع يتشككون في قدرة المناهج الوضعية والأمبيريقية على فهم الواقع الاجتماعي فهماً عميقاً مما دفعهم إلى طرح بعض البدائل المنهجية كالفهم الفينومينولوجي والتحليل الأثنوميثودولوجي وحينما حققت هذه البدائل المنهجية قدراً من الذبوع والشهرة، بدأ علم الاجتماع الحديث يشهد تنوعاً لم يعرفه من قبل، ويحاول الاتجاه الفينومينولوجي في علم الاجتماع إعادة النظر في كثير من المسلمات النظرية والمنهجية الشائعة في الفكر السوسيولوجي الحديث وهي:

—تأكيد الفارق الهام بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية.

—يرفض اعتبار العلوم الطبيعية نموذج يمكن أن تحاكيه العلوم الاجتماعية.

—الظواهر الطبيعية لا تعبر عن بناء خارجي من المعاني وبالتالي يتيح للباحث حرية الملاحظة وتفسير الظواهر التي يدرسها تفسيراً خارجياً مستقلاً.

—يدرس الباحث في العلوم الاجتماعية عالم يتشكل من خلال المعاني التي تمثل بالنسبة له وسيلة لفهم الواقع كما أن الظواهر الاجتماعية تكتسب معاني خاصة بالنسبة للأفراد الذي يعيشون في إطار ثقافي معين ومن هنا يتضح مدى الاختلاف بين دور عالم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي ودور العالم الطبيعي في دراسة العالم المادي فالعالم الطبيعي يدرس ظواهر لا تتخذ بناء معرفي مسبق وبالتالي فهي لا تعرف القصد أو الإرادة، وعلى الرغم من أن العالم الطبيعي يدرس ظواهر طبيعية توجد في إطار اجتماعي إلا أن علاقته بهذه الظواهر هي علاقة خارجية تختلف تمام الاختلاف عن علاقة العالم الاجتماعي بالظواهر الاجتماعية التي يدرسها.

وقد انتقد هوسرل 1859 – 1939 علم الاجتماع بسبب ميله إلى محاكاة العلوم الطبيعية عند النظر إلى الواقع الاجتماعي لقد افتقد بذلك علماء الاجتماع القدرة على الإحساس بظواهر الوعي.

والواقع أن الملاحظات النقدية التي سجلها هوسرل لا تنطبق فقط على الموضوعات التي يهتم بها علماء الاجتماع بل تنطبق أيضاً على المناهج التي يستخدمونها في دراسة الواقع الاجتماعي.